بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ماذا نريد من الحياة.. وماذا تريد هى منا..؟!

سؤال محير.. وقضية من قضايا الكون الكبرى. لا أود أن أقدم إجابة - بقدر ما أود أن أقدم حكاية، قد تشى بدلالة. تلك الحكاية تدور حول قصتى مع هذا الكتاب.

بعد أن تخرجت فى كلية الآداب وحصلت على درجة الليسانس الممتازة سنة ١٩٦٠.. وجدت أن حُلمى الواسع الممتد بأن أكون عضو هيئة تدريس فى الجامعة، تواضع لكى أكون مدرسا فى وزارة التربية والتعليم.. لكن الأمل رغم ذلك ظل أخضر وارفا. وقد سجلت سنة ١٩٦١ موضوعا للحصول به على درجة الماجستير تحت إشراف أستاذتى الجليلة الدكتورة سهير القلماوى. وقد اخترت محمد هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) وتراثه موضوعا لهذه الرسالة الجامعية -التى كانت أول رسالة جامعية شاملة عنه- وذلك للاعتبارات التالية:

أولا: هيكل أديب ومفكر موسوعى: مارس كتابة الأدب، والنقد الأدبى، والمقال الصحفى، والفكر الدينى، والعمل السياسى. فدرسه من هذا المنظور درس لتاريخ الفكر والأدب الحديث خلال ما يربو على نصف قرن (١٩١٢ - ١٩٥٦).

ثانيا: هيكل له محاولات عدة فى الرواية والقصة القصيرة: ودراسة كل ما يتصل بالفن القصصى إبداعا ونقدا، تمثل -بالنسبة لى- رغبة خاصة وهواية أثيرة، ومعنى هذا أن تلك الرسالة سوف تخدم التخصص العلمى والهواية الأدبية فى آن واحد.

ثالثا: إن هيكل ينتمى إلى نفس الإقليم: الذى أنتمى أنا إليه - هو محافظة الدقهلية- فخامرنى إحساس شعرى وأملٌ بعيد المنال.. وهو أن دارس هيكل يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه.

ناقشت الرسالة فى يونيو ١٩٦٥.. ثم دخلت بعدها الجيش لقضاء مرحلة التجنيد. وساورنى خلال هذه الفترة قلق مدمر: فأنا طالب ممتاز، ومعلم مرموق، ورب أسرة.. كل ذلك مع إيقاف التنفيذ، حيث تواضعت الآمال وشحبت الأحلام، لتكون الحصيلة مجندا فى سلاح المشاه، يتقاضى جنيهين.. ثمَّ مدرسا للغة العربية فى ضاحيةٍ من

ضواحى بنى سويف يتقاضى عشرين جنيها. لكن الأمل أشرق من جديد.. حين عينت مدرسا مساعدا فى الجامعة سنة ١٩٧٠، وضاعت منِّى عشر سنوات كاملة خارج أسوارها. فأسرعت الخطى، وحصلت على درجة الدكتوراه سنة ١٩٧١، ولم أكد أتخلف عن مسيرة معظم زملائى، بل لقد سبقت بعضهم.

وقد نشرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٦٩.. فى مكتبة «النهضة المصرية»، التى كانت تنشر كل أعمال هيكل فى ذلك الزمان، وحصلت من صاحبها المرحوم محمد حسن على تسعين جنيها بالتمام والكمال. لا أدرى.. لم لم تكن مائة.. نظير طبع ألف نسخة..!!

بعد أن نفدتْ الطبعة الأولى.. كنت أتمنى أن أراجع بعض الأجزاء وبعض الآراء.. وعلى أمل هذه المراجعة المأمولة -تأخر صدور الطبعة الثانية من الكتاب إلى ما يقرب من ثلاثين سنة. حتى إذا كان هذا العام (١٩٩٦) عام الاحتفال بذكرى هيكل، وجدت كثيرا من الأصدقاء والزملاء يطلب منى نسخة من الكتاب- الذى أنسيته فى زحمة الأيام. كما جاءت إلى من الجزائر الشقيقة «الأستاذة مليكة بن بوزة»، التى تعد رسالة دكتوراه عن هيكل وروسو، فطلبت هى الأخرى نسخة من الكتاب، لذلك كله حاولت أن أعيد طبع الكتاب -بعد المراجعة- مرة أخرى، ليكون رمزا لإسهامى المتواضع فى ذكرى هذا الأديب الذى كنت ولازلت حفيا بسيرته، ومعجبا بتراثه.

هل كنت طوال هذه السنوات الطويلة.. -التى نسيت فيها هذا العمل مع أنه باكورة إنتاجى الأكاديمى، وبداية أطروحاتى- **هل كنت فى هذا كله مسيرا.. أم مخيرا؟!** لست أدرى.. وإنما أردد ما قاله أحمد شوقى فى مسرحية «مجنون ليلى»:

قدرتُ أشياءً، وقدَّرَ غيرَها حظٌّ يخطُّ مصائر الإنْسان

* * *

وبعد.. فإن هذه هى الطبعة الجديدة.. لم أعدل فيها كثيرا، لأنى حرصت على أن أقدم الصورة العلمية للكتاب على نحو قريب مما ظهرت عليه فى المرة الأولى.

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا.. وأن ينفعنا بما يعلمنا..إنه على ما يشاء قدير.

القاهرة - ١٦/ ٩/ ١٩٩٦

المستعين بالله أبو محمد
طه بن عمران وادى
أستاذ الأدب والنقد الحديث
كلية الآداب - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتناول هذه الرسالة حياة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ومراحل تكوينه بالإضافة إلى تحليل تراثه الأدبى والفكرى، وبيان دوره فى النهضة الأدبية والفكرية والصحفية، التى مرت بها مصر فى النصف الأول من القرن العشرين. وقد استحق هيكل أن يكون موضوعا للبحث باعتباره أبا للرواية المصرية وصاحب أول معلم فيها، وله فى الأقصوصة أيضا دور طليعى، وفى النقد مجال واسع ساعد على تكوين كثير من الاتجاهات الأدبية، بل إن له فى الأدب أشياء، لا نكاد نظفر بأمثالها -عند غيره- مثل كتب الوصف القصصى، التى تصور رحلات قام بها ونقل ما شاهد بطريقة فيها جدة وطرافة وقدرة على الوصف لا مثيل لها. كما أنه أسهم بجهد كبير فى التأريخ الأدبى للإمبراطورية الإسلامية، باعتبارها ثمرة من غرس محمد النبى الكريم، وباعتبارها خير دليل على أن الحضارة الإسلامية وحدها الكفيلة بإسعاد البشر ونشر روح السلام. بالإضافة إلى بعض تراجم مصرية وغربية، لها قيمتها فى التاريخ والأدب والنقد. ويعد هيكل كذلك أستاذا لمدرسة صحفية كبيرة، أثرت كثيرا فى الصحافة كمهنة.. وفى أدب المقالة كفن.. تأثيرات بعيدة المدى.

وبعد خدمة للأدب العربى ومحاولة لتطويره فى مدة تقرب من نصف قرن فى أكثر من ناحية -بعد هذا كله- له حياة زاخرة عاشها بالطول والعرض فى دنيا الساسة والسياسة، كان خلالها جنديا من جنود مصر المخلصين المدافعين عن عزتها وكرامتها.. ودستورها النيابى.. ووحدتها الوطنية.

وبوفاته -رحمه الله فى ديسمبر سنة ١٩٥٦- فإن ذلك يعنى أن الصفحة، التى خطها فى دنيا الأدب، والنقد، والفكر، والناس، قد كملت وانتهت، وحق لها أن تنال نصيبها من البحث والدراسة والتقويم.

* * *

أمرٌ آخر يحتاج إلى تبرير وهو سر تناول البحث بالدراسة لكل تراث هيكل الأدبى

والفكرى، ذلك لأن هيكل كان له أكثر من مجال ثقافى، باعتباره من الرواد الموسُوعيين فى الأدب والفكر والصحافة والاجتماع والسياسة، فدور الريادة فرض عليه -كما فرض على كثير من معاصريه- أن يناضل فى أكثر من ميدان، وينتج فى أكثر من حقل معرفى.

من أجل ذلك تنوع إنتاجه وكثر، ونتيجة للتنوع والكثرة ينسى البعض ما لهيكل من دور رائد وفضل كبير فى النهضة الحديثة فى مصر، بل ينسى البعض بعض المجالات التى تضمنها تراثه؛ ومن هنا تناولها البحث لعدم سبق الدراسة لهذا التراث ككل متكامل. كما أن الدراسة لهذا التراث -بنظرة شمولية- تساعد على تمثل الشخصية الأدبية المستترة وراءه تمثلا، يجعلنا نستطيع أن ندرك إلى أى مدي كان يقف هيكل من النهضة الحديثة وفضله فى تثبيت بعض دعائمها وأسسها الفكرية والأدبية.

وبعد...

فإنى إذ أقدم هذا الكتاب إلى القراء، ينبغى أن أنوه بما لأستاذتى الدكتورة سهير القلماوى من فضل فى الإشراف عليه حين كان رسالة جامعية، حصلت بها على الماجستير فى الآداب (يونيو ١٩٦٥). وقد أشار أستاذى الدكتور عبد العزيز الأهوانى، والدكتور عبد الحميد يونس بملاحظات قيمة -فى أثناء المناقشة- ظهرت آثارها فى البحث حين قدمته للطبع.

كذلك لا يفوتنى أن أشكر الأستاذ أحمد هيكل المحامى، فقد قدم إلى خدمات جليلة لا تنسى.. بالنسبة لبعض المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يوفقنا إلى طريق الخير والعلم والصواب.

المنصورة - يناير ١٩٦٩ **طه وادى**